القرابة والوظيفة

نظرة جديدة لدراسة المجتمع الأردنى ولتحديد طبقاتـه الاجتماعيـة

الدكتور أحمد أبو هلال *
الدكتور إبراهيم عثمان **

يعرّف لينسكى الطبقة الاجتماعية بأنها مجموعة من الأفراد فى المجتمع الواحد لهم المركز نفسه بالنسبة للقوة والثراء والامتيازات . ويقوم علماء الاجتماع فى العالم الغربى ، وبخاصة فى أمريكا ، بتقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات يسمونها : العليا ، والوسط ، والدنيا . ثم يقسمون كلا من هذه الطبقات إلى ثلاثة مستويات أخرى حسب الأسس السابقة ، وهى الثراء ، والوظيفة ، والتعليم ، والبيت ، ونوع السيارة : والمنطقة السكنية . وبعبارة أخرى حسب الثروة التى يملكها الفرد وما تجلب عليه من قوة وهيبة ؛ إذ أنه فى المجتمعات الغربية ، نجد أن الثروة تجلب القوة والوظيفة والتعليم . تنطبق هذه الظاهرة ، أكثر ما تنطبق على المجتمع الأمريكى والمجتمعات الصناعية .

أما فى المجتمعات النامية (أو غير الصناعية) ، فإن هناك اختلافاً فى تقسيمها إلى طبقات اجتماعية ، وفى تعيين مركز الفرد فى المجتمع ؛ فيقسم علماء الاجتماع تلك المجتمعات إلى طبقات أقرب ما تكون إلى الطوائف التى يبدأ الفرد فيها حياته ويبقى مستمراً فيها حتى مماته . ونجد هناك طبقة النبلاء أو الحكام ، ثم طبقة الخدم الذين يكسبون قوة الحكام ولكنهم

(*) مدرس تربية وأنثروبولوجيا — الجامعة الأردنية .
(**) مدرس علم اجتماع — الجامعة الأردنية .

لا يصلون ثراءهم . كذلك فإن هناك طبقة الحرفيين والكهنة أو رجال الدين ، ثم يتبع ذلك جماهير الشعب الفقيرة الكادحة ، والتى يُطلِقُ عليها بعض الكتاب اسم السفلة والمنحطين والعوام .

إن كانت هذه الظواهر والتقسيمات تتناسب والمجتمعات الصناعية ، أو تتناسب والمجتمعات النامية ، فإنها لا تنطبق على المجتمع الأردنى الذى يمتاز بظروف خاصة تميِّزه عن سائر المجتمعات . فالمرحلة الثقافية التى يجتازها المجتمع الأردنى تقع ما بين مرحلة المجتمعات النامية والمجتمعات الصناعية ؛ إذ أنه ليس بالمجتمع الصناعى المتكامل ولا هو بالمجتمع النامى أو المتخلف — وبعبارة أخرى يجتاز مرحلة انتقالية لابد من اجتيازها .

كذلك فإن ظروف الحروب المتتالية وما يتبعهـا من تخلخلات اجتماعية نتيجة لاحتلال أراضى شاسعة من قِبَل العدو الإسرائيلى حُدِثت تغييرات حتمية فى التركيب الاجتماعى نتيجة لنزوح عشرات الآلاف من المواطنين إلى العاصمة عمـان التى أصبح عدد سكانها فى السنوات الأخيرة أضعاف ما كانت عليه .

إن تقسيم المجتمع الأردنى إلى طبقات اجتماعية يعتمد إلى حد كبير على القرابة والوظيفة . فالفرد الأردنى الذى يعيش فى بلدٍ معين ، أو فى حى سكنى معين ، نجد أنه يشكِّل طبقة اجتماعية مع عشيرته تقوم على رباط الدم وليس على الثروة . أما إذا برح هذا الشخص منطقة سكنه لليوم أو للأسبوع من أجل وظيفته ، فإنه ينتسب إلى طبقة اجتماعية جديدة تتشكل من أفراد العمل وتستمر لمدة بسيطة ، وحتى فى حالة استمرارها فإن الفرد يكون متعلقاً ، من الناحية النفسية والاجتماعية ، بأهله وبعشيرته ؛ لذا فإن الطبقات الاجتماعية فى الأردن (إن جازت لنا التسمية) ليست فوقية التحرك والانتقال ، وإنما يكون التحرك باتجاه جانبى ، على عكس المجتمعات الغربية التى تكون هرمية الطبقات . إن الشخص الذى يتبوأ وظيفة عالية

وله مركز اجتماعى مرموق أثناء الوظيفة يشعر بالتواضع أثناء وجوده مع أقربائه وأهله ، كما أنه يشعر بالمسئولية اتجاههم .

كان المجتمع الأردنى فى أوائل الخمسينات يحتوى على مجموعتين أو طبقتين : الأغنياء ، والفقراء . أما فى أواخر العقد نفسه ، أخذت تبرز طبقة متوسطة ، نتيجة للتعليم العام الذى تقدمه البلاد لجميع أبناء الشعب ونتيجة لظهور طبقة من التجار وبخاصة الأراضى ، ويمكن للمتفحص الآن أن يجد التجمعات التالية مرتبة حسب مقدار القوة والامتيازات :

١ – موظفو الدولة والقوات المسلحة والأمن ويشكلون ٩ ٪ من السكان وهم أعلى تجمع بالنسبة للقوة .

٢ – التجار والمهنيون (كالأطباء والمهندسين) ويشكلون ١٪ من السكان .

٣ – أصحاب الرواتب العالية من المؤسسات المختلفة ويشكلون ٣٪ من السكان .

٤ – صغار التجار والحرفيون والفلاحون واللاجئون والبدو ونسبتهم ٨٧٪ من السكان .

• • •